جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم النفس

مقياس الديداكتيك (تعليمية المواد الدراسية)

المحاضرة الأولى

الديداكتيك: مفهومها، نشأتها، تطورها ووظيفتها

الأستاذة شافعي آمنة

السنة الثالثة ليسانس، علم النفس التربوي، السداسي الخامس

السنة الجامعية 2026/2027

الأستاذة شافعي آمنة

المقياس	الديداكتيك (تعليمية المواد الدراسية)
الأستاذة المحاضرة	شافعي آمنة
الفئة المستهدفة	طلبة السنة الثالثة ليسانس، علم النفس التربوي، السداسي الخامس

مدخل: وظيفتان في عمل كل معلم

أستاذة رياضيات في السنة الرابعة ابتدائي تحضر مساء درسا في الكسور. عليها أن تختار من المفهوم ما تبدأ به، وأن تختار المثال الأنسب بين قطعة الحلوى المقسمة والشريط المجزأ، وأن تتوقع الخطأ الذي سيقع فيه التلاميذ. وفي الغد تدخل القسم فتواجهها قضايا من نوع آخر: تلميذ يشوش، واختيار بين العمل في أفواج والعمل مع القسم كله، وتلميذة خجولة تحتاج إلى من يشجعها على الكلام.

النوع الأول من القضايا يتعلق بالمادة: بالكسور وكيف تتعلم. والنوع الثاني يتعلق بالقسم: بالجماعة وما يحدث فيها. وهذا ما تعبر عنه التي (Altet) حين ترى أن كل معلم يؤدي وظيفتين مترابطتين متكاملتين: وظيفة ديداكتيكية هي هيكلة المحتويات وتدبيرها، ووظيفة بيداغوجية هي التدبير والضبط التفاعلي لأحداث القسم. وهذا التمييز وارد في كتاب التي وزملائها الصادر سنة 2001 (ص 32)، كما ينقله العلوي الأمراني (2014، الشريحة 30).

تتناول هذه المحاضرة الوظيفة الأولى: ما الديداكتيك، ومن أين جاءت، وكيف تطورت، وما موضوعها ووظيفتها. أما المقارنة المفصلة بينها وبين البيداغوجيا فموضوع محاضرة لاحقة من البرنامج.

أولا: مفهوم الديداكتيك

1. اللفظ

أصل الكلمة يوناني. فكلمة «ديداكتيكوس» (didaktikos) تدل على كل ما يرتبط بالتعليم، والفعل «ديداسكاين» (didaskein) يعبر عن عمليات التعليم والتعلم. وكان اللفظ يستعمل أيضا للدلالة على «العرض المنظم لفكرة أو مذهب فلسفي» (العلوي الأمراني، 2014، الشريحة 6).

2. التسمية بالعربية

تتداول الكتابات العربية أربع تسميات على الأقل: الديداكتيك، والتعليمية، والتدريسية، وعلم التدريس. ولهذا التعدد أسباب:

- **مصطلح دخيل:** تلاحظ فشار أن المعاجم العربية لا تذكر المصطلح بصيغته هذه، لأنه «مصطلح مستحدث مركب»، وأن الأمر بلغ حد عدم الاتفاق على تسمية موحدة (فشار، 2023، ص 14).
- **اختيارات المؤلفين:** تختار فشار «التعليمية» لشيوعها في الجزائر (فشار، 2023، ص 25). أما الجوادي فيرجح «التدريسية» ترجمة لعبارة «ديداكتيك المواد»، لأنها «الأبعد عن الاضطراب والخلط» مقارنة بـ«التعلمية» و«التعليمية»، مع قبوله استعمال المصطلحات الأخرى إلى جانبها (الجوادي، 2020، ص 117).
- **برنامج المقياس:** يجمع بين التسميتين: «الديداكتيك (تعليمية المواد الدراسية)».

وتستعمل هذه المحاضرات «الديداكتيك» و«التعليمية» بمعنى واحد، تبعا لبرنامج المقياس.

3. التعريفات

التعريفات كثيرة، ولكل منها جانب يبرزه:

التعريف	صاحبه	ما يبرزه
«الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ... قصد بلوغ الأهداف المسطرة»	الدريج	الطابع العلمي، والأهداف
«تفكير في المادة الدراسية بغية تدريسها»، يواجه مشكلات معرفية (إبستمولوجية) ومشكلات نفسية	الدريج	المادة، ونوعا المشكلات
طريقة في التدريس، وتحديدا الطريقة الخاصة بتدريس مادة أو مواد متقاربة	دولاندشير	خصوصية المادة
«إشكالية شاملة وديناميكية» تتضمن تأملا في طبيعة المادة وغايات تعليمها، وفرضيات تتغذى من علم النفس والبيداغوجيا وعلم الاجتماع، ودراسة للفعل البيداغوجي الخاص بالمادة	غانيون	الطابع المركب، وتعدد العلوم المغذية

التعريفات الأربعة واردة في العلوي الأمراني (2014، الشرائح 17 و18 و21 و22)، الذي ينسبها إلى الدريج (2004، ص 15؛ 2011، ص 11) ودولاندشير (1979) وغانيون.

القاسم المشترك بين هذه التعريفات أن الديداكتيك تنطلق من مادة معينة وتبحث في كيفية تدريسها وكيفية تعلمها. وهذا ما يميزها عن البيداغوجيا التي تنطلق من القسم والعلاقة التربوية.

4. لفظ واحد وتقاليد مختلفة

لا يحمل اللفظ المعنى نفسه في كل التقاليد العلمية. ففي التقليد الألماني تعرف الديداكتيك عموما بأنها «فن التعليم أو دراسته»، بحسب هوبمان وريكارتس كما ينقل عنهما بينار (Pinar, 2006, p. 1)، وقد هيمنت على التفكير في المناهج وتكوين المعلمين في ألمانيا حتى الستينات (Westbury et al., 2000). أما في التقليد الفرنكفوني فيغلب أن يعني اللفظ ديداكتيك مادة بعينها بوصفها حقلا بحثيا. ويختلف المعنى أيضا من بلد إلى آخر: فغاليسون (Galisson) ينبه إلى أن الديداكتيك في بلجيكا مثلا لا تكاد تتميز من البيداغوجيا (نقلا عن العلوي الأمراني، 2014، الشريحة 16).

ثانيا: النشأة والتطور

يلخص العلوي الأمراني المفارقة بقوله إن «التاريخ النظري لمصطلح ديداكتيك قصير جدا بالرغم من أن استعماله قديم» (2014، الشريحة 6). فالكلمة موجودة منذ قرون، لكن الحقل البحثي حديث.

1. القرن السابع عشر: من راتكه إلى كومينيوس

صدر سنة 1613 في فرانكفورت تقرير موجز عن «الديداكتيكا أو فن التعليم» لفولفغانغ راتيشيوس، أي راتكه (Ratke)، وضعه هلفيغ ويونغ (Binder, 1888). فاستعمال اللفظ بمعنى «فن التعليم» سابق لكومينيوس.

أما كومينيوس (Comenius) فبدأ سنة 1628 كتابة «الديداكتيك التشيكية»، ثم ترجمها إلى اللاتينية نحو سنتي 1638 و1639. ونشرت «الديداكتيك الكبرى» (Didactica Magna) ضمن «الأعمال الديداكتيكية الكاملة» (Opera Didactica Omnia) بأمستردام سنة 1657، بحسب التسلسل الزمني الذي وضعه ليميتي لحياة كومينيوس، والمنشور مع نص بياجيه (Piaget, 1993). وغاية الكتاب، كما يقول عنوانه، عرض «الفن الكامل لتعليم كل شيء للجميع» (Comenius, 1896)، وبه صار اللفظ عنوانا لنسق تربوي متكامل.

2. من القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين: تأمل فلسفي

يذكر العلوي الأمراني (2014، الشرائح 9 إلى 11) أن دو مارسي (Du Marsais) استعمل المصطلح سنة 1729 بمعنى «العلم الذي يهتم بتنظيم عمليات التدريس وكيفية إنجازها»، وأن كانط دعا إلى عقلنة الأساليب البيداغوجية، وأن مؤلفي «الموسوعة» (ديدرو ودالمبير) اهتموا بصعوبات المدرسة.

وطوال هذه المرحلة بقيت الديداكتيك أقرب إلى التأمل الفلسفي. ويصفها دو كورت وزملاؤه، فيما ينقله العلوي الأمراني (2014، الشريحة 11)، بأنها «ميتودولوجيا عامة استنتاجية» تنطلق من تصورات فلسفية عن الإنسان والعقل والطفولة.

3. القرن العشرون: نحو حقل بحثي

المرحلة	مركز الاهتمام
الستينات	النشاط التعليمي، أي المعلم
السبعينات والثمانينات	النشاط التعلمي، أي المتعلم
التسعينات	التفاعل بين النشاط التعليمي والنشاط التعلمي

هذا التحقيب تنقله فشار (2023، ص 26) عن صهود (2015)، وهو يلخص اتجاها عاما ولا تطابق محطاته تاريخ كل بلد.

وفي فرنسا نشأت ديداكتيك الرياضيات حقلا للبحث العلمي في السبعينات: أنشئت أولى برامج الدكتوراه فيها سنة 1975، وظهرت نظريات بروسو (Brousseau) في الوضعيات الديداكتيكية، وفيرنيو (Vergnaud) في الحقول المفاهيمية، وشوفالار (Chevallard) في النقل الديداكتيكي (Artigue et al., 2019). ومع الثمانينات أعيد بناء الحقل على البحث التجريبي بدل الأطر الفلسفية.

4. عوامل التحول في القرن العشرين

يرد العلوي الأمراني (2014، الشريحة 12) هذا التحول إلى خمسة عوامل:

1. توسع المعارف، وظهور التخصص العلمي في تنظيم المواد الدراسية.
2. الاهتمام بالبحث التجريبي والميداني.
3. تطور النظريات النفسية في الإدراك والنمو والذكاء، وهو ما يربط الديداكتيك بعلم النفس التربوي مباشرة.
4. التطور الكمي للنظم التعليمية وتزايد أعداد المتعلمين.
5. تطور وسائل التعليم والإعلام.

ونتج عن ذلك أبحاث ديداكتيكية تجريبية، ووعي يدعو إلى استقلال الديداكتيك عن البيداغوجيا (العلوي الأمراني، 2014، الشريحة 13).

5. وضع الحقل اليوم

لم يستقر الحقل بعد. فالعلوي الأمراني (2014، الشريحة 14) يرى أنه «يصعب الإقرار بوجود وضع قار ونهائي» للبحث الديداكتيكي، لأربعة أسباب: تشتت الأبحاث التجريبية بين المواد، وغياب نظرية تركيبية متماسكة، وتعدد التسميات، وتداخل الديداكتيك مع البيداغوجيا والإبستمولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع التربوي.

ثالثا: موضوع الديداكتيك ووظيفتها وأنواعها

1. الموضوع: فعل التدريس في مادة معينة

موضوع الديداكتيك هو فعل التدريس، محتوى ومنهجا معا. فهي نظرية لمحتويات التدريس، ونظرية لطرقه ومنهجيته (العلوي الأمراني، 2014، الشريحة 24). وتدرس المادة في علاقتها بثلاثة مكونات (الشريحة 23):

المكون	ما يبحث فيه	مثال من درس الكسور
المعرفي (الإبستمولوجي)	طبيعة المعرفة وبنيتها ومنطقها	الكسر جزء من كل، وهو أيضا عدد
النفسي (المتعلم)	كيف يتعلمها المتعلم، وما تصوراته السابقة عنها	ظن التلميذ أن الربع أكبر من النصف
المنهجي (التدريس)	الطريقة والوضعية والتقويم	وضعية تقاسم حقيقية قبل الرموز

خطأ التلميذ في هذا المثال ظاهرة موصوفة في البحث باسم «انحياز الأعداد الطبيعية»: يطبق المتعلم خصائص الأعداد الطبيعية على الكسور، فيرى أن 4 أكبر من 2، فيستنتج أن الربع أكبر من النصف! وقد وصف هذه الظاهرة ني وتشو سنة 2005، كما ينقل راينهولد وزملاؤه (Reinhold et al., 2020, p. 2).

ويلتقي هذا مع تعريف الدريج: مشكلات إبستمولوجية من جهة المادة، ومشكلات سيكولوجية من جهة المتعلم. وهنا موضع علم النفس التربوي في الديداكتيك. وهذه المكونات هي أصل «المثلث الديداكتيكي» الذي تناولته المحاضرة الثانية.

2. الوظيفة: عقلنة فعل التدريس

الديداكتيك عند الدريج «علم تطبيقي معياري»، لأنها تبحث في المعايير التي تضبط العملية التعليمية التعلمية وتوجهها (نقلا عن العلوي الأمراني، 2014، الشريحة 18). وتتوزع هذه الوظيفة على ثلاث لحظات مترابطة (الشريحة 19):

- **التخطيط:** البرمجة الجيدة للوضعيات التعلمية.
- **التدبير:** الإنجاز الجيد لهذه الوضعيات.
- **التقويم:** عامل ضبط للتعلمات، لا مجرد نهاية لها.

3. الأنواع: تعليمية عامة وتعليمية مواد

تميز فشار (2023، ص 26 و27) بين نوعين:

- **التعليمية العامة:** تهتم بالمبادئ المشتركة بين المواد، كالمناهج وطرائق التدريس وأساليب التقويم، وتمثل الجانب النظري.
- **تعليمية المواد:** تهتم بما يخص مادة بعينها من طرائق ووسائل وأساليب، وتمثل الجانب التطبيقي. وهي أحادية تخص مادة واحدة، أو متعاقبة تستعمل المواد حجة تعليمية، أو متداخلة تهتم بالتقاطع بين المواد.

وبرنامج المقياس مبني على هذا التمييز: فمفرداته الأولى من التعليمية العامة، ومفرداته الخاصة باللغات والرياضيات والفيزياء والعلوم من تعليمية المواد.

خلاصة

الديداكتيك (التعليمية، التدريسية) تفكير علمي في مادة دراسية بغية تدريسها، يواجه مشكلات معرفية من جهة المادة ومشكلات نفسية من جهة المتعلم. وتعدد تسمياتها العربية راجع إلى أنها مصطلح دخيل لم يتفق على تعريبه، ويختلف معناها بين التقليد الألماني، حيث تعني فن التعليم عامة، والتقليد الفرنكفوني، حيث تعني ديداكتيك مادة بعينها.

الكلمة قديمة والحقل حديث. استعمل لفظ «الديداكتيكا» بمعنى فن التعليم سنة 1613 مع راتكه، واشتهر بكتاب كومينيوس المنشور سنة 1657، ثم بقي الحقل تأملا فلسفيا حتى بداية القرن العشرين، وصار حقلا بحثيا تجريبيا منذ السبعينات والثمانينات، وانتقل مركز اهتمامه من التعليم إلى التعلم ثم إلى التفاعل بينهما. وما زال غير مستقر نظريا.

موضوعها فعل التدريس في علاقته بثلاثة مكونات: المعرفي والنفسي والمنهجي. ووظيفتها عقلنة التخطيط والتدبير والتقويم. وتنقسم إلى تعليمية عامة وتعليمية مواد.

المراجع

الجوادي، رياض بن علي. (2020). مدخل إلى علم تدريس المواد: ديداكتيك، تدريسية، تعلمية، تعليمية (ط 2). دار التجديد للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

العلوي الأمراني، عبد العزيز. (2014). مدخل عام إلى الديداكتيك [عرض تقديمي]. المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

فشار، فاطمة الزهراء. (2023). مدخل إلى البيداغوجيا والديداكتيك: كتاب بيداغوجي (ط 1). كنوز الحكمة.

Artigue, M., Bosch, M., Chaachoua, H., Chellougui, F., Chesnais, A., Durand-Guerrier, V., Knipping, C., Maschietto, M., Romo-Vázquez, A., & Trouche, L. (2019). The French didactic tradition in mathematics. In W. Blum, M. Artigue, M. A. Mariotti, R. Sträßer, & M. Van den Heuvel-Panhuizen (Eds.), *European traditions in didactics of mathematics* (pp. 11-56). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-030-05514-1_2

Binder. (1888). Ratich, Wolfgang. In *Allgemeine Deutsche Biographie* (Vol. 27, pp. 358-364).

Comenius, J. A. (1896). *The great didactic of John Amos Comenius* (M. W. Keatinge, Trans.). A. and C. Black.

Piaget, J. (1993). Jan Amos Comenius (1592-1670). *Prospects: Quarterly Review of Comparative Education, 23*(1/2), 173-196.

Pinar, W. F. (2006). Bildung and the internationalization of curriculum studies. *Transnational Curriculum Inquiry, 3*(2), 1-15.

Reinhold, F., Obersteiner, A., Hoch, S., Hofer, S. I., & Reiss, K. (2020). The interplay between the natural number bias and fraction magnitude processing in low-achieving students. *Frontiers in Education, 5*, Article 29. https://doi.org/10.3389/feduc.2020.00029

Westbury, I., Hopmann, S., & Riquarts, K. (Eds.). (2000). *Teaching as a reflective practice: The German Didaktik tradition*. Lawrence Erlbaum Associates.